المحاضرة الأولى:

اللسانيات العربية النشأة والتطور

1- مفهوم اللّسانيات العربيّة:

إنّ الحديث عمّا يعرف **باللّسانيات العربيّة الحديثة** أو الدّرس اللّسانيّ العربيّ الحديث، ينبغي أن يقتصر على جملة من المؤلفات والدّراسات اللّسانيّة الّتي ألّفها لسانيّون عرب منذ منتصف الأربعينيّات من القرن العشرين، وفيها بدأ الاتّصال والتّعرّف على مناهج النّظر اللّسانيّ الغربيّ الحديث.

والدّراسات اللّسانيّة العربيّة المبكّرة الّتي تبنّت المناهج الغربيّة لم تعرف مصطلح اللّسانيّات إلّا في أواسط السّتينات. وتحدّد بداية انتقال الفكر اللّغويّ الغربيّ إلى ميدان التّفكير اللّغويّ العربيّ ببداية الاتّصال الفعليّ بالحضارة الغربيّة في العصر الحديث.

ويمثّل النّموذج المصريّ صورة لنشأة العلاقة بين الباحث العربيّ واللّسانيات الغربيّة الحديثة على الطّريقة النّمطيّة؛ حيث انعقدت صلة الجامعات المصريّة بالدّرس اللّسانيّ الغربيّ الحديث منذ مطلع الأربعينيّات، أمّا الشّخصيّة الرئيسيّة الّتي تمثّل نقطة هذه الصّلة فهو **"جون روبيرت فيرث"** (J-R-FIRTH) (1890-1990) الّذي كان أستاذًا للسانيّات العامة في جامعة "لندن" ما بين عامي1944-1960.

وعلى يدّ هذا العالم وتلامذته في **"مصر"** بدأ التّيّار اللّسانيّ الأساسيّ المتأثّر باللّسانيات الفرنسيّة على يد **"جوزيف فندريس"** و" **أنطوان ماييه"**، واتّخذت اللّسانيّات الأمريكيّة سبيلها في النّهاية من خلال المتابعة والجهد الذّاتيّ لتلامذة **"فيرث"**، ثمّ على يد العائدين من أمريكا في الستينات ومعظمهم من أقسام اللّغة الإنجليزية في **الجامعات المصريّة.**

ويمكن ان نشير في هذا السّياق إلى أبرز الجهود الّتي تثبت بداية ظهور الفكر اللسانيّ عند العرب:

- جهود "رفاعة الطّهطاوي":

برز التّأثّر بهذا الفكر الحديث عند **"رفاعة الطّهطاوي"**، الّذي دعا إلى إنشاء مجمع اللّغة العربيّة على غرار المجمع العلميّ الفرنسيّ،

– جهود "جورجي زيدان":

وظهر هذا التّأثّر أيضا في كتابي **"جورجي زيدان"** وهما: كتاب: **"الفلسفة اللّغويّة والألفاظ العربيّة"** الّذي ظهر سنة(1888م)، وكتاب **"اللّغة العربيّة كائنٌ حيٌّ"** الّذي ظهر سنة (1904م)، ويبدو فيهما متأثّرًا **بالنّزعة الدّاروينيّة** الّتي سادت آنذاك، **وبنظريّة النّشوء والارتقاء**، ونظريّة **النّموّ التلقائيّ** للكائنات؛ إذ تبنى نظريّة اللّغات المرتقيّة واللّغات غير المرتقية، ونظريّة المقطع الأحاديّ الّتي تفسّر تولّد الكلام، وحلول البحث في أصول العربيّة ونشأتها، مع مقارنتها بشقيقاتها في اللّغات السّامية، معتمدًا النّظريّات الّتي سادت في نهاية **القرن التّاسع عشر.**

– جهود علي عبد الواحد وافي:

كان المؤثّر الفعليّ في البحث اللّسانيّ العربيّ هو **الفيلولوجيا** ، إذ أدخل المستشرقون الألمان نمط التّفكير الفيلولوجيّ إلى البلاد العربيّة، وشكّلت بحوثهم إطارًا مرجعيًّا لجملة من البحوث والدّراسات اللّسانيّة العربيّة، ويمكن عدّ سلسلة التّأليف اللّغويّة الّتي اتّخذت من **فقه اللغّة** عنوانًا لها أنموذجا لهذا التّأثير بدءًا بجهود **"علي عبد الواحد وافي"** من خلال كتابه **"فقه اللّغة"** الصّادر عام 1937.

– جهود "الأب أغسطين مرمرجي الدومنيكي":

وفي الوقت نفسه، نبّه باحثون عرب إلى ضرورة إعادة فهم اللّغة العربيّة من خلال ربطها بعائلة السّاميّات، حيث يتجلى ذلك في كتب **"الأب أغسطين مرمرجي الدومنيكي"**: نذكر منها كتاب : **"المعجميّة العربيّة على ضوء الثنائيّة والألسنيّة السّاميّة"** الّذي أصدر سنة (1937م)، بالإضافة إلى كتابه المعنون بـ **"معجميّات عربيّة ساميّة"** الّذي ظهر سنة (1950م)،

– جهود "عبد المجيد عابدين":

كما يمكن ان نشير أيضًا إلى جهود **"عبد المجيد عابدين"** من خلال كتابه الموسوم بـ **"المدخل إلى دراسة النّحو العربيّ على ضوء اللّغات السّاميّة"** الّذي أصدر سنة (1951م).

وهذه الكتب تمثّل نموذجًا آخر لتأثير الفيلولوجيا في البحث اللّغويّ العربيّ، فضلًا على أنّ جملة من البحوث العربيّة الّتي اتّجهت بالنّقد إلى **النّحو العربيّ**، عدّت متأثّرة بتصوّرات المستشرقين في ذلك، وهذا ما نجده متجليًّا في جهود **"إبراهيم مصطفى"** من خلال كتاب **"إحياء النّحو"** الذي أصدر سنة (1937م).

واللّغويّون العرب في هذه المرحلة المبكرة لم يتبيّنوا الفرق بين مجال **"الفيلولوجيا"** بالمفهوم الغربيّ، وبين المفاهيم الّتي ورثوها عن اللّغويين العرب القدماء، والّتي تدخل في **إطار فقه اللّغة**، من قبيل المفاهيم التي قدّمها **ابن جنّي** (ت392هـ)، في كتابه **" الخصائص"**، و**"ابن فارس"** (ت395هـ) في كتاب: **"الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها"**، وقد وقع في هذا الخلط الكثير من الباحثين حين تأليفهم للكتب في هذا المجال، بدْءًا بجهود **"علي عبد الواحد وافي"** حين ترجم مصطلح الفيلولوجيا (Philologie) بفقه اللّغة، لكن فريقا آخر أتى بعد هؤلاء مثل **"محمود السعران"** في كتابه **"علم اللّغة" مقدّمة للقارئ العربيّ"** الصادر سنة 1962م وهو يعدّ محاولة رائدة لنقل الفكر اللساني الغربي إلى القارئ العربي بطريقة ميسرة ، بالإضافة إلى جهود **"محمود فهمي حجازي"** في كتابه "علم اللّغة العربيّة" الّذي أصدر سنة 1970م، وذلك لما تيسر لهم من الاطّلاع على المناهج الغربية الحديثة.

وبالتّالي فقد وقع علماء اللّغة العربيّة في اختلاف كبير بين هذه المناهج والمصطلحات ممّا أدّى إلى اختلاف الاتّجاهات.